ASOS JOURNAL
The Journal of Academic Social Science

Akademik Sosyal Araştırmalar Dergisi, Yıl: 6, Sayı: 65, Şubat 2018, s. 650-662

Yayın Geliş Tarihi / Article Arrival Date
13.01.2017

Yayınlanma Tarihi / The Publication Date
15.02.2018

Fatima MAHMOUD MOHAMMAD AL-TAWALBEH
Jordan University, Faculty of Art and Design, Department of Visual Arts
f.tawalba@ju.edu.jo / fatima_t83@yahoo.com

Mohammed BAKER MOHAMMED AL-ABBAS
Jordan University, Faculty of Art and Design, Department of Visual Arts
m.alabbas@ju.edu.jo / mohdbaker83@hotmail.com

THE CULTURAL DIVERSITIES OF UMAYYAD ARCHITECTURE

Abstract

This article investigates the cultural diversities in the Umayyad Architecture. The Umayyad prior cultures created several influences on the different elements of interiors and exteriors of the mosques build during the Umayyad civilization in the Levant. This article focused on the byzantine and Romanesque designing styles in the early Islamic buildings, the aim of this article is to highlight the values of unity and diversity as well as the ideological and aesthetical values represented through building mosques in the Umayyad Dynasty. This article is significant because it introduces the traditional literature of Islamic architecture into the contemporary trends of Art and Design.

Keywords: Cultural Diversity, Art and Design, Islamic Architecture, Intercultural influences.

الـــمـــلـخـــــص

يركز موضوع البحث على دراسة العمارة الاموية ومدى تأثُّرها بالحضارات السابقة التي كانت موجودة في بلاد الشام . و كيف اثرت عناصر التصميم البيزنطية والرومانية على العمارة في بداية الاسلام ويهدف هذا البحث الى ابراز قيم الوحدة والتنوع بالإضافة الى رصد القيم الفكرية والجمالية الناجمة عنها في عمارة المساجد الإسلامية في فترة حكم الامويين. و تم الاختيار القصدي لنماذج مختارة من تلك المساجد، للوقوف على ظاهرة التنوع الثقافي في عمارة المساجد الاسلامية فكريا وجماليا من خلال اعتماد المنهج الوصفي التحليلي. جاءت حدود البحث المكانية لتتضمن البلاد التي كانت مراكز للدولة الاسلامية خلال العصر الاموي, من بلاد الشام لتمتد زمانيا ضمن فترة حكم العصر الاموي ويمكن أن يفيد البحث المشتغلين في الفنون البصرية من فنانين ونقاد، وكذلك تقديم الفائدة للمؤسسات الأكاديمية التي تعنى بفن العمارة.

الكلمات المفتاحية: التنوع الثقافي، الفن والتصميم، عمارة اسلامية، تاثرات حضارية متداخلة.

المقدمة: التنوع الثقافي في العمارة الاموية

عندما شرع النقاد ودارسو الفنون في تفسير الأسباب الكامنة وراء انتاج الشعوب لألوان متباينة من الفن, انساق بعضهم إلى البحث أساساً في بيئة الفن عن عوامل فاصلة أو متحكمة، حيث اختلفت اختلافاً بينياً من شعب إلى آخر, والتي يمكن أن تكون متصلة اتصالاً سببياً بتنوع الفن الذي أنتجه كل شعب, وكان من بين هؤلاء العالم (تين) الذي أغفل مفهوم القوة الروحية الباطنة في صناعة الفنون، " وبدأ بدراسة أساليب الفن القومية , وتتبعها إلى ماضيها بحثاً عن أسبابها, فاهتدى إلى سبب مباشر يكمن في السيكولوجية المتميزة أو الطابع المحرك المسيطر في كل شعب"(توماس، 1970، 264)[1], وهذا التباين شكل معيارا من معايير الوحدة والتنوع في العمل الفني، فرضته طبيعة الانطباعات والعمليات الداخلية والأفكار والعواطف التي هيأت السبل لإنتاج الفنون على اختلافها، أو التميز أسلوبيا في فن واحد من الفنون دون غيره.

وكان طبيعيا أن ينعكس تأثير كل من الوحدة والتنوع في الفنون الاسلامية بوصفهما ضرورة من ضرورات إنشاء العمل الفني حيث برزا كحقيقة يعمد إليها الفنان وفق رؤيته، ليؤسس للعلاقة الوظيفية الضرورية بين الأجزاء وبين الشكل من ناحية، وليقدم منجزا فنيا له أهدافه ورسالته الحضارية التي تتأسس بإضفاء طابع التجديد والابتكار، وبما أن الوحدة هي عامل أساسي ومهم في العمل الفني لكونها تعمل على ربط العناصر مع بعضها البعض بشكل متناسق، فإنها لا تنفصل عن مفهوم التنوع، لذلك شكلت الوحدة والتنوع سمة أساسية من سمات الفنون على اختلاف مراحلها التاريخية، ولم تنفصلا عن العمارة الاسلامية لاسيما عمارة المساجد حيث أضفت عليها مضامين فكرية وجمالية خلاقة، وتأسيسا على ما تقدم، تخلص الباحثة إلى أن مشكلة بحثها تنطلق من هذه الخصوصية التي تتطلب معرفة الوحدة والتنوع في عمارة المساجد الاسلامية. وعليه فإن هذه الدراسة قد هدفت إلى الإجابة عن ماهية تحقيق الوحدة والتنوع على المستويين الفكري والجمالي في عمارة المساجد الاسلامية

أهمية البحث:

[1] مونرو توماس (التطور في الفنون) الجزء الأول. المطبعة الثقافية 1970 . ص 264

يركز هذا البحث على اظهار التنوع الثقافي في العمارة الاموية. وما للحضارة الرومانية والبيزنطية من أثر واضح في الفنون والعمارة الإسلامية التي وجدت في بلاد الشام الناتج عن قيام الحرفيون و المعماريون المحليون الساكنين لأكناف بيت المقدس وبلاد الشام بتنفيذ مجموعة من الزخارف الداخلية لمسجد قبة الصخرة والمسجد الاقصى ,ولوحات الفسيفساء التي تغطي واجهات المسجد الاموي في دمشق من الخارج والداخل .

تنبثق اهمية البحث من خلال محاولته الوصول إلى جماليات الوحدة والتنوع في عمارة المساجد الإسلامية وتأثرها بالحضارات السابقة التي كانت في المنطقة من خلال الاختيار القصدي لنماذج مختارة من المساجد الإسلامية. حيث يؤكد هذا البحث على عالمية العمارة الاسلامية منذ القدم وتنوعها الثقافي الغني.

أهداف البحث:

- التعرف على تأثيرات الفنون البيزنطية التي مارسوها الحرفيين المحليين في اكناف بيت المقدس وبلاد الشام على التصاميم المعمارية في مسجد قبة الصخرة والمسجد الاموي.
- التعرف على القيم الفكرية والجمالية الناجمة عن التنوع الثقافي في عمارة المساجد الاموية.
- التعرف على امثلة من التنوع الثقافي في العمارة الاموية.

حدود البحث:

1. الحدود الزمانية: (العصر الاموي)
2. الحدود المكانية: البلاد التي كانت مراكز للدولة الاسلاميةفي العصر الاموي
3. الحد الموضوعي: يتناول الباحث الوحدة والتنوع في عمارة المساجد الإسلامية من خلال الاختيار القصدي لنماذج مختارة من المساجد الإسلامية ودراستها وتحليلها.

تعريف المصطلحات:

- **الوحدة: في اللغة تعني**" مصدر كون الشيء واحدًا؛ وحدةُ المصير/ وحدةُ الزمان .كالانفراد بالنفْس؛ و يوصف الانسان بأنه يحبُّ حياة العزلة والوَحْدة[2]. و**اصطلاحا** هي "الترابط بين الأجزاء أو العناصر وفق العلاقات التصميمية. وان تحقيق الوحدة الجمالية يكون بتواؤم من أجزاء التصميم في نظام يمكن تبنيه" (نوبلر، 1987، 99)[3].وهي ايضا "العلاقة الوظيفية الضرورية بين الأجزاء وبين الشكل"(كاظم، 1990، 38)[4]. وتماشيا مع أهداف هذا البحث يمكن تعريف الوحدة بانها ترابط أجزاء العمل الفني فيما بينها لتكون كلاً واحداً، ضمن نظام خاص من العلاقات الفنية، حيث يتم ادراكه من خلال وحدته في نظام متسق متآلف يخضع معه كل التفاصيل لمنهج واحد.
- **التنوع في** الغة هو اختلاف الشكل والمنظر الذي يدل ايضا على اختلاف في المضمون. والتنوع في العلوم الانسانية يدل على الفروق بين الافراد المبدعين والجماعات التي تشترك بنفس الثقافة و العرق والمجتمع و الخلفية الاجتماعية[5]. و التنوع الثقافي في هذا البحث يدل على احتواء العمارة الاسلامية المنتجة في العصر الاموي على

2) - [2]http://lexicons.sakhr.com((معجم المحيط) أديب اللجمي ،شحادة الخوري

3. نوبلر، ناثان، حوار الرؤية – مدخل إلى تذوق الفن والتجربة الجمالية، ترجمة. فخري خليل ،بغداد ،دار المأمون، 1987م، ص99.

4 ـ كاظم ،احمد عبيد, الأسس الفلسفية في تصميم المجلات العراقية، رسالة ماجستير ،كلية الفنون الجميلة / جامعة بغداد، ١٩٩٠م، ص38.

5) -[5]http://lexicons.sakhr.com((معجم المحيط) أديب اللجمي، شحادة الخوري

مجموعة من الفنون ذات الاصول غير العربية وغير الاسلامية. والتي انتجها الحرفيون غير المسلمين المستعان بهم من قبل الامويين لبناء مساجدهم في القدس ودمشق. تحتوي المساجد الاموية على فنون مثل الفسيفساء والقيشاني والنقش البيزنطي والمنسوجات الرومانية التي وجد امثلة منها في الكنائس البيزنطية. وهذا يدل على التنوع الثقافي والاجتماعي في زمن الامويين ويدل ايضا على الانفتاح و التسامح وقبول الاخر في المجتمعات التي قام الامويون بإدارتها.

الإطار النظري: الوحدة والتنوع في الفن الإسلامي:

منذ ظهور الاسلام وظهور الحاجه لبناء الدولة الاسلامية، شهدت الفنون والعمارة الاسلامية تطورا نوعيا كبيرا باتساع الرقعة الجغرافية للدولة الاسلامية لتضم شعوب حضارات عظيمة، فامتد التاريخ الاسلامي لفترة زمنية طويلة تغطي معظم العصور الوسيطة على مساحة جغرافية واسعة تمتد من حدود الصين في اسيا الى غرب اسيا وشمال افريقيا وصولا إلى الأندلس, مما ادى الى تنوع المعطيات والعناصر التي ساهمت في تطوير الفنون والعمارة الاسلامية وتنوعها.

وقد شكل الفن عنصرا مركزيا في التعبير عن طبيعة الحضارات وتطورها واحد العناصر الأساسية في عملية بناء الحضارة، حيث ارتبط بطريقة مباشرة بالثقافات المحلية وبالمركب الحضاري التي تنتمي اليه هذه الثقافات .ونظرا لتعدد المجتمعات الاسلامية فقد ظهر واضحا تنوع الفن الاسلامي، "وترجع الوحدة لتأثير العامل التاريخي, فجميع العناصر التي كانت تشكل القاعدة البشرية في الشام ومصر والعراق هي من بقايا العرب القدماء , وكانت على صلة بشعوب أسيا وإفريقيا التي انطوت تحت لواء الدولة الجديدة التي جاء بها الإسلام, فوحد الناس فيها تحت لغة واحدة ودين واحد, وحكم متشابه الأسس"(الشامي، 1990، 44)[6]، مما انعكس تأثيره على طبيعة الأساليب الفنية والموضوعات التي تتناولها.

إن تناول الجماليات الخاصة بالفنون الاسلامية يتطلب الوقوف علاقتها بالحقائق التاريخية والاجتماعية كجزء من مخطط عام لدراسة دور تلك الفنون في الحياة الإسلامية، والتي توصف بأنها عوامل وحدة وتنوع في البلاد الاسلامية في آن واحد معا، وهذا يعني ان التواصل موجود، وأن التجديد حقيقة موجودة وعلينا ان نكشف عنها ضمن أبعادها الفكرية والجمالية، وبكل ما تحمل من سياقات اجتماعية وتاريخية بوصفها تشكل انعكاسا جوهريا لحركة الأمة الاسلامية في تطورها العام، ولا يمكن انكار أن الوحدة هي السمة الرئيسية التي تميز بها الفن الإسلامي بكل أنواعه، عن غيره من فنون الأمم الأخرى, وهذه السمة قد "تخطت عالم المكان، فلم يفرقها بعد المسافات بين ديار المسلمين وامتدادها, كما تخطت عامل الزمان، فلم يغيرها مرور الأيام وتتابع القرون (الشامي، 1990، 41)[7]، ونتيجة لارتباط الفنون الاسلامية بالحقائق التاريخية والاجتماعية والسياسية التي تسود كل عصر وتميزه عن غيره، فقد شكلت عملية التجدد والتطور ملمحا أساسيا في الفنون الاسلامية ضمن رؤية حضارية تتوافق في مجملها العام مع تعاليم الاسلام وتوجيهاته.

لقد تشكل التنوع في الفنون الاسلامية انطلاقا من تنوع التكوين الطبيعي للشعوب والقبائل التي كونت المجتمع الاسلامي، ومن خلال التنوع والاختلاف اخذت الفنون بشكل عام اغراضها الاساسية التي نشأت نتيجة لطبيعة الاختلاف السياسي والاجتماعي السائد في المجتمع الاسلامي، لقد "حاول الاسلام بعد ذلك ان يلغي الحرب ويشمل التنوع داخل فكرة توحيده إلا انه اعترف بالتنوع بل بالاختلاف الذي تجلى في تقبل النبي (ص) لنطق العرب للقرآن بلهجاتهم الخاصة أو أن يفهموا بعض المعاني وفق دلالة الالفاظ لديهم على الرغم من تسييد لهجة قريش التي تحمل القاسم المشترك الاعظم بين لهجات القبائل العربية. وداخل فكرة التنوع نجد التداخلات بين الحدود الاقليمية والقومية والاممية داخل المجتمع العربي الاسلامي فقد قبل العقل العربي الاسلامي التنوع ولم يرفضه لأنه احس بالتغاير الحضاري مع اصحاب الحضارات القديمة

[6] الشامي صالح (الفن الاسلامي) دار القلم دمشق , ص 44
[7] الشامي صالح (الفن الاسلامي) دار القلم دمشق , ص 41

والممتدة الذين دخلوا الاسلام بل صنعوا الحضارة الاسلامية، بل أقاموا أهم دولة في تاريخ الاسلام وهي الدولة العباسية التي أسست أصول الحضارة الاسلامية بل وأصلتها، وتواصلت مع الجذور القديمة وقبلت التنوع والاختلاف وأقرته"(الجيار وآخرون، 1987، ص60)[8].

لقد ارتبط الاختلاف والتنوع بفكرة البحث عن الخصوصية المحلية، وحينما بدأت الدول تنسلخ عن جسم الخلافة الاسلامية وتعلن استقلالها، بدأت تلك الخصوصية بالتبلور، وترسخت الفنون في إطارها الاقليمي الضيق، إلا أنه ورغم اختلاف الأقطار الإسلامية وابتعادها، فقد بقيت قرابة وشيجة لا تنقطع بين فنونها التي بقيت قريبة من حياة الإنسان المسلم، حيث دخل الفن في تكوين مخطوطاته وكتبه وثيابه وبيته وأواني الطبخ والأسواق والقصور إلخ، لكنه انعدام الفرق بين الفن الذي خصت به المساجد وبين الفن الذي ساد الأماكن الأخرى سواء أكانت عامة أو خاصة، "إن الاختلاف بين الفن لخدمة الدين والفن المدني ليس واضحا في البلاد الإسلامية وضوحه في الغرب, وصحيح أن دور العبادة الإسلامية اتخذت إشكالا معمارية خاصة اقتضتها الاحتياجات العملية , لكن زخرفتها لم تخرج على القواعد المتبعة في العمارة المدنية، وكما نجد في بناء هذه الوحدة هو اختفاء جنسية الفنان, وبقاء الإسلام هوية واحدة لكل فنان مسلم"(الشامي، 1990، 41)[9].

ورغم تعدد مراكزه وتباعد أقطاره وظهور التأثيرات المتعددة فيه، يبقى للفن الاسلامي رونقه الخاص الذي يميزه عن غيره من الفنون، ويحقق له تفرده ومزاياه، رغم أن كثيرا من الفنون الاسلامية قامت طبقا لرغبات الحكام والولاة وتوجيهاتهم حسب اتجاهاتهم الثقافية, بغض النظر عن جنسية الفنانين الذين أنجزوا تلك الفنون، وعليه فإن "جميع مخلفات العصور الإسلامية تدل على أنها تنتمي إلى وحدة فنية تجمع بينها, رغم ما فيها من تنوع الأساليب الزخرفية التي ازدهرت في شتى بلاد العالم الإسلامي, فلكل بلد أسلوب زخرفي خاص به, يميزه عن غيره, ولكن ضمن وحدة الزخرفة الإسلامية كإطار عام يختلف عن الأساليب الأخرى الصينية أو الهندية أو الأوروبية مثلا"(الشامي، 1990، 42)[10].

وإذا كانت وحدة الفن الإسلامي حقيقة قائمة فعلا، كان قد استنتجها الباحثون من الواقع الذي بين أيديهم، فإن تلك الوحدة هي أمر متفق عليه, وهي تعود إلى وحدة العقيدة, إذ "لا شك أن وحدة العقيدة الدينية في العالم الإسلامي أقوى تأثيرا منها في العالم المسيحي, ذلك لأن الإسلام قضى على الفوارق الناشئة من اختلاف الأجناس والتقاليد, وعني بتوجيه شؤون الفكر والأدب والعادات في مختلف البلاد, وكان الأمر بنشر القرآن بلغته الأصيلة العربية وحدها, مما جعل لها وللتعاليم القرآنية سيادة مطلقة في العالم الإسلامي كله, فكان ذلك في مقدمة العوامل التي أدت إلى ابتداع كثير من الفنون وازدهارها"(الشامي، 1990، 43)[11].

وفي ضوء ذلك نستطيع ونتيجة للخاصية العربية الاسلامية أن نتبين نشأة الوحدة في العمل الفني, بسياقاتها وعناصرها البسيطة والمعقدة والمتشابكة، إذ أن الوحدة تتشكل زمانيا ومكانيا، وهي تتأثر بشكل واضح بالبيئة وبطرائق التفكير ونتائجها , ومن العبث عدم ربط أي دراسة فنية ربطاً وثيقاً بهذه الأحوال والأوضاع والعناصر والظروف, فالمجتمع العربي عاش عصوراً متميزة , وتكونت روحانيته الخاصة ومفاهيمه, ونمت أساطيره ومعتقداته الدينية، وامتدت تأثيراتها قوية ومتعاقبة أثرت في مجمل إنتاجه الحضاري على الرغم من تبدل الظروف وتحول المفاهيم عبر مراحله التاريخية، وعليه كانت نظرة

[8] ـ الجيار، مدحت، وآخرون، الأدب العربي ـ تعبيره عن الوحدة والتنوع، اشراف. عبد المنعم تليمة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1987م، ص 60

[9] ـ الشامي صالح (الفن الاسلامي)، ص 41

[10] نفس المصدر السابق ص 42

[11] المصدر نفسه، ص43

العربي في مجملها تمس الأشياء مساً مباشراً (حسياً) يهز الوجدان، وهذه النظرية الجمالية للوجود هي التي ميزت ثقافة الشرق في الأسفار الدينية وفي الكتب المنزلة التي أراد الله أن يوحي بها في بلاد الشرق"(بلاسم، 2008، 51)[12].

لقد ترسخت الوحدة والتنوع في الطرز والمباني الاسلامية التي انتشرت في العالم الاسلامي قد تنوعت في اشكالها وعناصرها المعمارية، لكنه قد ظهر تأثير العامل الديني في العمارة الإسلامية شكلا ومضمونا، ورسخ عبر التاريخ العلاقة الوثيقة بين العروبة والإسلام، ولا يمكن هنا تجاهل ما أورده (غوستاف لوبون) حينما قال: "أنه يكفي نظرة على اثر يعود إلى الحضارة العربية كقصر أو مسجد , أو على الأقل أي شيء , محبرة أو خنجر أو مغلف قران, لكي نتأكد من أن هذه الأشغال الفنية تحمل طابعا موحدا , وانه ليس من شك يمكن أن يقع في أصالتها, ليس من علاقة واضحة مع أي فن آخر , أن أصالة الفن العربي واضحة تماما"(بهنسي، 1979، 69)[13].

وإذا كانت وحدة الفن تمتد لتشمل العهود الإسلامية فإنها تضرب بجذورها إلى البدايات الأولى للأمة العربية، فالتقاليد التي وضعت أصول الفن الأكادي و الأشوري والتي امتدت إلى الفن الآرامي و الفينيقي هي نفسها التقاليد التي ورثها العرب بعد الإسلام، فلقد كره الساميون الأجداد تصوير الأجساد وأقاموا عمارتهم التي شكلت عنوانا لتقدمهم ونهضتهم.

ومع تشكل الدولة العربية الإسلامية، ظهر المسجد واضحا كأحد اهم المباني في العمارة الاسلامية ،ليعبر تعبيرا صادقا ومباشرا عن مفهوم الوحدة والتنوع في هذا الشأن، وإذا كان للمساجد وظيفته الدينية القائمة على تقديم العبادة، فإن ذلك لا يمنع من تنوعها على مستوى الشكل الخارجي او التصميم الهندسي، مع اختلاف مادة واسلوب البناء من بيئة الى اخرى ومن طراز الى اخر، وقد لخص (وزيري) العناصر الاساسية الثابتة في عمارة المساجد بأربعة عناصر هي:

" 1. جدار القبلة: وهو الجدار الرئيسي في بيت الصلاة المتجه نحو مكة المكرمة وفي منتصفه غالبا توضع علامه للموضع الذي يقف فيه الامام وقد ترسم على هيئة باب على الجدار او على شكل عقد وقد يكون محرابا مجوفا على شكل حنية داخلية وقد تتعدد المحاريب في المسجد الواحد، فالتوجه للقبلة كثابت اساسي في اختيار شكل مسقط الافقي المسجد.

2. الصحن المكشوف: الذي قد يكون مبلطا او به فسقية او حوض ماء او قد تزرع فيه اشجار لتعطي ظلا كما في مساجد الاندلس ولأهمية الدور الذي يقوم به الصحن المكشوف في المسجد كمصدر اساسي للتهوية واضاءة الاروقة و الاواوين التي تحيط يه.

3. الأروقة المسقوفة والتي تحيط بالصحن من جانب واحد او جانبين او ثلاثة او اربعة جوانب واكبرها واهمها رواق الصلاة او القبلة وتختلف طرق التسقيف حسب الزمان والمكان والطراز.

4. المنبر وقد يكون مجرد منصة من درجة او اكثر او منصة عالية بدرج وباب خشبي وهناك طرز واشكال كثيرة اخرى"(وزيري، 2004، 138)[14].

لقد بقي تصميم المساجد في صورته العامة ثابتا ولم يتغير وذلك نتيجة للغاية الوظيفية التي بنيت المساجد من أجلها، وهذا انعكس بدوره على الوحدة الخاصة بالتصميم لتلك المساجد، ويمكن ملاحظة حالة التنوع في تصميم المساجد في اطار هذه الوحدة، رغم تأثير البيئات والثقافات المتعددة على طرز المساجد وأنظمة بنائها على مر العصور وعند مختلف الأقوام، وقد

12 محمد بلاسم (تأويل الفراغ في الفنون الإسلامية). دار مجدلاوي عمان 2008 ص 51
13 بهنسي عفيف (جمالية الفن العربي) عالم المعرفة منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , الكويت 1979 م ص 69
14 - يحيى وزيري ,العمارة الاسلامية والبيئة , عالم المعرفة 2004 ص 138

عبر جارودي عن ذلك حينما قال: "انا شخصيا حينما ارى روائع الفن الاسلامي اشعر بأن رجلا واحدا قد قام ببنائها مدفوعا بإيمانه بإله واحد، من الجامع الكبير في قرطبة الى فسيفساء المساجد في تلمسان ومن جامع ابن طولون في القاهرة الى مساجد استانبول الفخمة "[15]،

العمارة الاسلامية في العصر الاموي في بلاد الشام:

اتسعت الامبراطورية الاسلامية في عهد الدولة الاموية لتمتد غربا الى اسبانيا وشرقا الى الصين ولقد كان اختيار الامويين دمشق عاصمة للخلافة الاسلامية السبب الرئيسي في ظهور الطراز الاموي الذي يعتبر اولى مدارس الفن الاسلامي حيث بدأ الاتصال بين الثقافة الاسلامية وحضارة الدولة الرومانية المسيحية البيزنطية الموجودة في سوريا والعراق.

كما ان فن العمارة البيزنطي والساساني قد تأثر بالحضارات السابقة لهما بعضها شرقي من صنع الشعوب العربية القديمة التي كونت الحضارات في بلاد ما بين الرافدين والشام وبعضها غربي دخل مع الاحتلال اليوناني والروماني وتطور ظلاله والواقع ان العرب المسلمين لم يتعرفوا على آثار هذه الحضارات العربية القديمة التي انقرضت قبل ظهور الاسلام بقرون لكنها نقلت اليهم من خلال فنون وسيطة وهي الفنون الكلاسيكية اليونانية والبيزنطية التي تعج بآثارها بلاد الشام والفنون الساسانية التي كانت تسود المنطقة المتاخمة للشام من الشرق في العراق وبلاد فارس.

وبذلك ورث الامويون فنون هذه الحضارات السابقة وتأثروا بها ولكنهم ما لبثوا ان افرغوها في قالب متجانس فظهر في عالم الفنون فن بل فنون اسلامية اثرت بدورها في فنون الغرب تأثيرا لا يزال ظاهرا حتى اليوم (وزيري، 2004، 65).[16]

تميزت العمارة الاسلامية في العصر الاموي بصفات عامة تتلخص ب:

- استخدام الحجارة و الاجر في البناء
- اسقف معظم المساجد جاءت على شكل جمالوني.
- العقود و الاقواس كانت محملة على اعمدة حجرية و رخامية.
- بناء القصور و الاستراحات ومعظمها كانت تبنى بالصحراء
- المآذن معظمها نفذت على شكل ابراج كالتي وجدت في مسجد قبة الصخرة
- انتشار بعض التصاوير الجدارية كالتي نفذت على اسقف وجدران قصير عمره.
- التأثر بالحضارات الرومانية والبيزنطية .

من اهم الامثلة على العمارة الاموية في بلاد الشام مسجد قبة الصخرة:

تم بناءها في عهد عبد الملك بن مروان سنة 72هـ (691م) و يمتاز بتصميم فريد من نوعه جاء على شكل ثماني الاضلاع، و في الوسط تتمركز قبة على اعمدة و اكتاف ويحيط بها رواق دائري الشكل، وقد ضم اربعة ابواب. كان قد زين الجزء السفلي منه بزخارف فسيفسائية ألا انها استبدلت خلال فترة حكم سليمان القانون (1543م) بزخارف من القشاني، اما الجزء العلوي منه زينت جدرانه بالرخام. زينت القبة من الداخل بالقيشاني المزخرف بإشكال نباتيه و هندسية رائعة اما القبة من الخارج فقد زينت بألواح من النحاس والألمنيوم المذهب.

[15] ـ المصدر نفسه، ص140

[16] د. يحيى وزيري ,العمارة الاسلامية والبيئة , عالم المعرفة 2004 ص65

صورة (1): مسجد *قبة الصخرة من الداخل والخارج*

ويظهر من تصميم قبة الصخرة التي قام ببنائها عبد الملك بن مروان تأثر العمارة الاموية في بداياتها بالأساليب الفنية التي كانت سائده في بلاد الشام قبل دخول العرب بها فتصميم المبنى مقتبس من تصميم بعض الكنائس التي كانت في المنطقة مثل كنيسة الصعودالموجودة في جبل الزيتون بفلسطين والتي كان تصميمها عبارة عن مثمن داخله دائرة تحيط بصخرة كان يقف عليها المسيح عندما صعد للسماء واستخدام القباب كان معروفا في بلاد الشام حيث وجد كنائس ذات قباب خشبية.(علام، 1977، 17)[17]

صورة رقم (2) كنيسة الصعود في القدس

- وتعد قبة الصخرة ببيت المقدس التي شيدت عام 72هـ اقدم مثال للقبة في تاريخ العمارة الاسلامية(سامح، 1964، 11).[18]
- وكان اول استخدام حقيقي للقبة في المسجد امام واعلى المحاريب تأكيد لمكانتها واهميتها كما في المسجد الاموي في دمشق(وزيري، 2004، 163)[19].

[17]*علام ,نعمت اسماعيل (1977) فنون الشرق الاوسط في العصور الاسلامية , الطبعه الثانية , دار المعارف ص17

[18]*سامح , كمال الدين , (1964) العمارة في صدر الاسلام. وزارة الثقافة والارشاد القومي , القاهرة ,ص11.

[19]والمسجد الاقصى في القدس *د زيحيى وزيري ,العمارة الاسلامية والبيئة , عالم المعرفة 2004ص163

صورة (2): مسجد *قبة الصخرة*

الواح خشبية منقوشة من مسجد الاقصى بالقدس:

لقد تزامن فن الزخرفة على الخشب مع فن العمارة، وقد استطاع الفنان الاموي من تنفيذ فن الزخرفة على الابواب، و نفذ بعض الالواح الخشبية و وضعها على بعض الجدران. وقد كان النحت على الخشب معروفه من قبل في سوريا, و قد استمد الفنان الاموي بعض عناصره من الفن الهيلنستي و الساساني , و استطع من تنفيذ وحدات زخرفية رائعة تليق بالفن الاسلامي و من اشهر و اهم الامثلة هي التي نفذت في المسجد الاقصى بالقدس , حيث شكل زخارفه المتنوعة على الواح خشبية تكونت من زخرفة اوراق الاكانثوس و تفريعات العنب.

صورة (3): مسجد *قبة الصخرة*

وقبة الصخرة في القدس الشريف التي شيّدت في عهد عبد الملك بن مروان عام 72هـ (692م)،فنجد أن زخارفها شبيهة بالفسيفساء الموجودة في الجامع الأموي بدمشق وهي مقتبسة من الفنون الإغريقية والبيزنطية مع عناصر من الفن الهيلينستي والساساني، وخاصة الفسيفساء التي زيّنت بها القبة ,فتنوعت بتأثرها بالفنون القديمة السائدة في المنطقة, فوجد الكثير من لوحات الفسيفساء التي تغطي جدران الكنائس البيزنطية في القدس وفلسطين مثل الموجودة في كنيسة المهد في بيت لحم .

صورة رقم (4) جدارية من الفسيفساء البيزنطية في كنيسة المهد في بيت لحم.

ومن المساجد الاموية في بلاد الشام المسجد الاموي:

والذي يعد من اجمل الأمثلة على العمارة الاسلامية التي تبرز مفهوم التنوع الثقافي في العمارة الاموية. يقع المسجد وسط مدينة دمشق تقريبا، اقيم على انقاض المعبد الروماني جوبتر والكنيسة البيزنطية يوحنا المعمدان. بني المسجد في عهد الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة 88هـ (707م). مخطط المسجد مستطيل الشكل وفي الوسط ساحة سماوية يحيط بها اربعة أروقه اكبرها رواق جدار القبلة. ويحيط ب بالمسجد من الخارج اربعة ابراج مربعة الشكل و ما يزال احد الابراج موجود لغاية الان استخدموه للمناداة على الصلاة. ويتوسط قاعة الصلاة القبة التي ارتكزت على اربعة اعمدة. والعقود جاءت بإشكال مختلفة منها على شكل جذوة الفرس و العقود المدببة والنصف دائرية. زينت جدران المسجد بزخارف الفسيفسائية و القيشاني و الرخام كما هو الحال في قبة الصخرة ألا ان الفسيفساء هنا كان واضحا بشكل كبير.

اغلب العمائر التي تركها الامويون في الشام كانت عمائر عظيمة استخدم الحجر في بنائها على هيئة مداميك وعقود محمولة على اعمده رخامية بأسقف خشبية مائلة على شكل جمالوني كما في رواق المسجد الاموي. اما المآذن فكانت على شكل ابراج مربعه لتأثرهم بأبراج الكنائس التي كانت منتشرة في سوريا وفي نهاية العصر الاموي استعمل الطوب في عمل الحوائط والاقباء (تأثير عراقي).(الالفي، 1984، 160)[20] ويلاحظ الن الطراز الاموي لم ينتشر في العراق او ايران لان المباني فيها تأثرت بالأسلوب المحلي والذي يعتمد على استعمال الطوب بدل من الحجر

[20] *الالفي, ابو صالح, 1984, الفن الاسلامي , دار المعارف , القاهرة ص160

اما القبة فهي بناء دائري المسقط مقعر من الداخل مقبب من الخارج والقبة هي احد الاشكال الخاصة التي استخدمت في تغطية اسقف كثير من المباني على مر العصور فيرجع ان القباب الاولى نشأت في بلاد ما بين النهرين والشرق الادنى كما ان العمارة الرومانية والبيزنطية عرفت القباب واستعملتها في المباني(غالب، 1988، 309).[21] ولاستخدام القباب في العمارة الاسلامية رؤيا خاصه فهي حلا مناخيا وبيئيا وانشائيا ووظيفيا ورمزيا حيث ترمز للسماء حيث يعدها البعض صورة مصغرة لما كان يراه العربي في صحراءه من اتساع الافق واستدارته.

صورة (5):قبة المسجد الامويقبة المدرسة النورية

والزخارف الحجرية، فهناك أمثلة عديدة تبين أن الفن الإسلامي تأثر بالفنون البيزنطية والهيلينية والساسانية في اقتباسها. وكمثال على ذلك واجهة قصر المشتى التي تزخر بمثل هذه النقوش الجميلة فمعظم هذه الزخارف كانت مستخدمة في الفن المسيحي قبل الإسلام في سوريا.

ومن فنون العمارة البيزنطية التي تأثر بها المعماريون في العهد الأموي فن زخارف الفسيفساء الحجرية في تزيين أرضيات المباني، والفسيفساء الزجاجية الملونة والمذهبة في زخرفة الجدران. ولقد ازدهر هذا الفن في ذلك العهد بشكل كبير، وما زالت آثاره شاخصة إلى يومنا هذا وخاصة في الجامع الأموي الكبير بدمشق ,وقد زينت من الخال والواجهات الخارجية بأجمل اللوحات التي تعكس تأثرها بالفن الإغريقي والروماني.

21 *غالب , عبد الحميد (1988) موسوعة العمارة الاسلامية ,جروس برس , بيروت.ص309

صورة (6): *فسيفساء من المسجد الاموي بدمشق*

ومن العناصر والمفردات التي تميزت بها العمارة الإسلامية أيضاً هي الزخرفة الكتابية. فقد تفنّن بها الفنان المسلم، واتخذها أداة لإضفاء سمات جمالية، حيث أصبحت هذه الزخرفة تتضمن الخطوط بكافة أنواعها، سواء على سطوح الجدران أو القباب أو في الأقواس والمآذن والشرفات. ولم تلبث أن تطورت وتنوعت، ثم تداخلت معها الأزهار والفروع النباتية. وقد أثارت الكتابة العربية، كعنصر زخرفيّ، إعجاب الفنانين في إسبانيا وفرنسا، الذين اتخذوا من حروفها أداة لتزيين كنائسهم ومبانيهم. وقد تجلت هذه الفنون في واجهة كاتدرائية نوتر دام.

الخـــاتـمـــــة:

فالفنون الاسلامية استفادت من الفنون السابقة والمعاصرة واغنت مجال دخول الشعوب المختلفة في الاسلام بخبراتها السابقة فالشيء الذي ميزها هو اكتساب الفضاء المعماري وشعور بالراحة لما يتمتع به الفن الاسلامي بكونه اطارا عاما واحدا تتنوع ضمنه اللغة الزخرفية والفنية والمعمارية تبعا لخصوصية الاقاليم. "احترم الاسلام تعدد الثقافات في المجتمعات الانسانية وهذه الرؤيا الحضارية هي التي سمحت بتنوع التشكيل المعماري لعناصر المسجد احتراما لتعدد البيئات الثقافية للمجتمعات الاسلامية من مختلف بقاع الارض.(وزيري، 2004، 64-65)"[22]

المراجع :

-مونرو توماس (التطور في الفنون) الجزء الأول. المطبعة الثقافية 1970.

- نوبلر، ناثان ،حوار الرؤية – مدخل إلى تذوق الفن والتجربة الجمالية، ترجمة. فخري خليل ،بغداد، دار المأمون، 1987م.

ـ كـاظم، احمـد عبيـد, الأسـس الفلسـفية فـي تصـميم المجـلات العراقيـة، رسـالة ماجسـتير ،كليـة الفنـون الجميلـة / جامعـة بغداد، ١٩٩٠م.

-http://lexicons.sakhr.com- (معجم المحيط) أديب اللجمي، شحادة الخوري).

- الشامي صالح , الفن الاسلامي , دار القلم دمشق .
- الجيار، مدحت، وآخرون، الأدب العربي ـ تعبيره عن الوحدة والتنوع، اشراف. عبد المنعم تليمة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1987م.
- محمد بلاسم , تأويل الفراغ في الفنون الإسلامية ,دار مجدلاوي عمان 2008 .

[22] *د يحيى وزيري ,العمارة الاسلامية والبيئة , عالم المعرفة 2004 ص 64, 65

- بهنسي عفيف (جمالية الفن العربي) عالم المعرفة منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , الكويت 1979 م .
- علام ,نعمت اسماعيل (1977) فنون الشرق الاوسط في العصور الاسلامية , الطبعة الثانية , دار المعارف .
- سامح , كمال الدين , (1964) العمارة في صدر الاسلام. وزارة الثقافة والارشاد القومي , القاهرة .
- د يحيى وزيري ,العمارة الاسلامية والبيئة , عالم المعرفة 2004.
- الالفي ,ابو صالح ,1984 ,الفن الاسلامي , دار المعارف , القاهرة .
- غالب , عبد الحميد (1988) موسوعة العمارة الاسلامية ,جروس برس , بيروت.